

## صراع الهوية في رواية "مدن تأكل العشب" لعبد خال: نموذجاً

### *The Struggle of Identity in Abdo Khal's Novel Cities That Eat Grass: A Model*

د. شيرين ريسان رفاص: أستاذ مساعد، حاصلة على الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، الكلية التربوية المفتوحة، المديرية العامة لتربية المثلى - العراق.

*Dr. Sherine Resan Rafas: Assistant Professor, PhD in Arabic Language and Literature, Open Educational College, General Directorate of Education of Al-Muthanna, Iraq.*

Email: Shyrynalzyady@gmail.com

Doi: <https://doi.org/10.56989/benkj.v6i5.1881>

## الملخص:

تناولت هذه الدراسة صراع الهوية في رواية «مدن تأكل العشب» لعبد خال، بوصفه محوراً مركزياً كشف تحولات المجتمع السعودي في مرحلتي ما قبل النفط وما بعده. وانطلقت من مفهوم الهوية بوصفها بناءً ديناميكياً تشكل بفعل التغيرات الاجتماعية والثقافية، ساعيةً إلى الكشف عن تجليات هذا الصراع في بنية الشخصيات وتحولات المكان. وقد اعتمدت الدراسة المنهج النقدي الاجتماعي للكشف عن العلاقة الجدلية بين النص الروائي والواقع المجتمعي. أبرزت الرواية صراعاً حاداً بين الانتماء والاعتراب، حيث عانت الشخصيات من تفكك هويتها نتيجة الفقر والجوع والهجرة القسرية، مما دفعها إلى تبني هويات بديلة. وعُدَّ البطل (يحيى) نموذجاً لهذا الصراع؛ إذ فقد انتماءه العائلي والاجتماعي، وتشكّل وعيه تحت ضغط الغربة. كما تجلّت أزمة الهوية في تعدد الأسماء والألقاب، والتنصل من الماضي، فضلاً عن التوتر القائم بين الحرية والعبودية لدى بعض الشخصيات. ولم يقتصر هذا الصراع على الإنسان، بل امتد إلى المكان؛ إذ تحوّلت القرية من فضاء حاضن إلى فضاء طارد، وغدت المدينة فضاءً للاعتراب وفقدان الأمان، مما كشف عن علاقة جدلية متوترة بين الإنسان ومحيطه. وخلصت الدراسة إلى أن الجوع مثّل العامل الأبرز في تفكك الهوية وتشظيها، وأن الرواية قد نجحت في تقديم معالجة رمزية عميقة لهذه الإشكالية، عاكسةً واقعاً اجتماعياً مأزوماً. كما أوصت بضرورة توسيع أفق الدراسة من خلال اعتماد الدراسات المقارنة بين الأعمال التي تناولت مجتمعات مشابهة، بما أسهم في الكشف عن المفصل الحقيقية لصراع الهوية، واقتراح سبل أكثر فاعلية لمعالجته نقدياً وأدبياً.

**الكلمات المفتاحية:** صراع الهوية، عبده خال، مدن تأكل العشب، الرواية السعودية، النقد الاجتماعي، الاعتراب، التحولات الاجتماعية، الهوية الثقافية، الفقر والجوع، المكان الروائي

**Abstract:**

This study examined the conflict of identity in Abdo Khal's novel *Cities That Eat Grass*, considering it a central theme that revealed the transformations of Saudi society in the pre-oil and post-oil periods. It proceeded from the concept of identity as a dynamic construct shaped by social and cultural changes, seeking to uncover the manifestations of this conflict in the structure of characters and the transformations of place. The study adopted the socio-critical approach to reveal the dialectical relationship between the narrative text and social reality. The novel highlighted a sharp conflict between belonging and alienation, as the characters suffered from the fragmentation of their identities due to poverty, hunger, and forced migration, which drove them to adopt alternative identities. The protagonist (Yahya) was considered a model of this conflict, as he lost his familial and social belonging, and his consciousness was shaped under the pressure of estrangement. The crisis of identity was also manifested in the multiplicity of names and titles, the disavowal of the past, as well as the tension between freedom and slavery among some characters. This conflict was not limited to humans, but extended to place; the village transformed from a nurturing space into a repelling one, and the city became a space of alienation and loss of security, revealing a tense dialectical relationship between humans and their surroundings. The study concluded that hunger represented the most prominent factor in the fragmentation and disintegration of identity, and that the novel succeeded in presenting a profound symbolic treatment of this issue, reflecting a troubled social reality. The study also recommended broadening its scope through comparative studies of works that addressed similar societies, thereby contributing to revealing the core aspects of identity conflict and proposing more effective ways to address it critically and literarily.

**Keywords:** identity conflict, Abdo Khal, *Cities That Eat Grass*, Saudi novel, social criticism, alienation, social transformations, cultural identity, poverty and hunger, narrative space

## المقدمة:

يُعدّ مفهوم الهوية من أهم القضايا التي واجهت الأدب العربي المعاصر، لا سيما في ظلّ الظروف والتحوّلات العميقة التي أصابت بنية المجتمع العربي، والتي أعادت تشكيل ملامحه الثقافية والاجتماعية. فقد ظلّ هذا المجتمع يتخبّط بين قطبين متناقضين: الثبات والتقليد من جهة، والتغيير والحدائثة من جهة أخرى، الأمر الذي أفرز حالة من الاضطراب والقلق الوجودي انعكست بوضوح في النتاج الأدبي. وما تجلّى في رواية «مدينة تأكل العشب» ليس إلا محاولة فنية واعية لتجسيد هذا التخبّط الذي لحق بالمجتمع السعودي، إذ تطرح الرواية سؤال الهوية ضمن إطار قروي مغلق نسبياً، يتّسم بتوتر عميق بين التمسك بالعادات والقيم المتوارثة، والانجراف نحو موجة الحدائثة التي لم تكتفِ بتغيير المظاهر، بل امتدت لتطال البنى النفسية والذهنية للأفراد، فصبغت كلّ شيء، حتى النفوس، بصبغة مغايرة.

وعليه، يمكن اعتبار الرواية تجربة سردية كثيفة حاولت التعبير عن أزمة الضياع والتحوّل التي تصيب الهوية الحقيقية للذات والمكان، فتدفعهما إلى العيش في دورٍ مزيّف مفروض قسراً بفعل التحوّلات الاجتماعية والاقتصادية. وهي أزمة لا تقف عند حدود الفرد، بل تمتد لتشمل الجماعة بأسرها، حيث تتجلّى في صراعٍ غير متكافئ بين القيم التقليدية التي تمثّل «الهوية الأصل»، والقوى الحدائثية التي تهدّد كلّ ما هو أصيل وحقيقي، وتسعى إلى إعادة تشكيله وفق معايير جديدة قد تقضي إلى الاغتراب وفقدان الانتماء.

## مشكلة الدراسة:

تنطلق الدراسة من سؤالٍ مركزي يتمثّل في: كيف يتجلّى صراع الهوية في رواية «مدينة تأكل العشب»؟ وما الأبعاد الدلالية، والفكرية، والمجتمعية التي تحملها الرواية، أو التي تسعى إلى إيصالها للمتلقي؟ ويتفرّع عن هذا السؤال جملة من التساؤلات الفرعية التي تتعلّق بآليات تمثيل الهوية، وصور الصراع بين القديم والجديد، ومدى انعكاس التحوّلات الواقعية على البناء السردية والشخصيات.

## منهج الدراسة:

يستند هذا البحث إلى المنهج النقدي الاجتماعي، بوصفه منهجاً قادراً على قراءة العلاقة الجدلية بين النص الروائي والتحوّلات المجتمعية التي أنتجته. كما يوظّف البحث بعض المرجعيات الثقافية الحديثة، خاصة تلك التي تنظر إلى الهوية بوصفها بناءً ديناميكياً متغيّراً، يتشكّل باستمرار وفق السياقات التاريخية والاجتماعية. ويُضاف إلى ذلك الاستفادة من بعض الأدوات التحليلية الأسلوبية للكشف عن تجليات هذا الصراع داخل اللغة السردية.

### أهداف الدراسة:

- الكشف عن الصراع القائم بين الهوية الجمعية والهوية الفردية داخل النص الروائي، وتحليل مظهراته في الشخصيات والأحداث.
- الوقوف على أبرز مظاهر هذا الصراع في عالم الرواية، سواء على المستوى النفسي أو الاجتماعي أو الرمزي.
- قراءة الأبعاد الدلالية لمفتاح الرواية، وأعني بذلك العنوان، بوصفه مدخلاً أساساً لفهم ما وراء النص الروائي وما يحمله من إحياءات.
- إبراز دور السرد في تشكيل رؤية نقدية للتحوّلات التي أصابت المجتمع محلّ الدراسة.

### أهمية الدراسة:

- تُبرز الدراسة التحوّلات التي عاشها أفراد الرواية داخل مجتمعٍ أصابه التغيير، وتكشف عن آثارها النفسية والاجتماعية.
- تسهم في الكشف عن البعد الرمزي للعمل الروائي، وما ينطوي عليه من دلالات عميقة تتجاوز ظاهر الحكاية.
- توضّح العلاقة القائمة بين صراع الهوية الفردية وتأثير المحيط الاجتماعي والثقافي عليها، بما يعزّز فهم آليات تشكّل الهوية.
- تفتح أفقاً نقدياً لقراءة الرواية السعودية بوصفها مرآة للتحوّلات التاريخية.

### دوافع اختيار موضوع الدراسة:

إنّ ما دفعني لاختيار هذا الموضوع لورقتي البحثية هو انجذابي إلى عالمٍ لم يُكشف لي من قبل، وصورةٍ غير مألوفةٍ لمجتمعٍ خليجي عُرف بظاهره المترف، بعيداً عن معاناته الخفية. فقد استطاع عبده خال أن يكشف، بجرأةٍ سرديةٍ لافتة، عن الوجه الحقيقي لعالم ما قبل النفط، وما أعقبه من تحوّلات عميقة وصراعٍ حقيقي في هوية ذلك المجتمع، الأمر الذي حفّزني على استكشاف أبعاد هذا الطرح وتحليله.

### صعوبات إعداد الدراسة:

لم تواجهني صعوبات تُذكر على المستوى المنهجي، غير أنّ أبرز التحديات تمثّلت في كون رواية «مدينة تأكل العشب» مادةً خاماً لم تُتناول بالدراسة الكافية، مما صعّب العثور على مراجع

نقدية سابقة تُعين في تحليلها وفكّ مغاليقها. كما أنّ احتواء الرواية على مفردات بدوية خاصة ببيئة النص أضاف بُعدًا لغويًا تطلّب جهدًا إضافيًا في الفهم والتأويل، نظرًا لغرابتها النسبية بالنسبة لي.

### هيكل الدراسة:

تكوّنت الدراسة من مقدّمة تمهيدية، تلاها مدخل نظري تناول مفهوم الهوية وأبعاده، ثم جاء التحليل التطبيقي الذي ركّز على قراءة نصوص مختارة من الرواية في ضوء الإطار النظري المعتمد، واختتمت الدراسة بعرضٍ لأهم النتائج التي توصلت إليها، إلى جانب مجموعة من التوصيات التي يمكن أن تُسهم في توجيه دراسات لاحقة في هذا المجال.

### مدخل إلى دراسة الهوية:

تشكل الهوية المرادف الموضوعي للذات، فهي الشطر الآخر منها، أو الصورة التي تجسد حقيقتها المطلقة؛ إذ تمثل «الخصوصيات التي تميز فردًا من غيره، أو جماعة من غيرهم، وتمثل انعكاسًا لواقع ما، ولتصورات معينة»<sup>(1)</sup>. وقبل الخوض في صراع الهوية وتشكّل الذات، لا بد أولًا من التعرف إلى ماهية الهوية وكيفية تشكّلها، والعوامل الرئيسة التي تقف وراء بنائها، لاسيما أن الهوية تمثل «أكثر المفاهيم تغلغلًا في عمق حياتنا الثقافية والاجتماعية واليومية، ومن أكثرها شيوعًا واستخدامًا»<sup>(2)</sup>.

### الهوية لغة:

الهوية في اللغة كلمة مشتقة من الفعل «هوى»، و«هوّة»، والهوية تصغير «هوّة»، وقيل: الهوية بئر بعيدة المهواة<sup>(3)</sup>. لكن الاستخدام الفلسفي كان أكثر تركيزًا على جوهر الدلالة؛ إذ يُرى أنها مصدر صناعي من الضمير «هو»، للدلالة على أن الشيء هو هو، وليس غيره، أو أنه لم يصر شيئًا آخر. وهي الذات الثابتة من خلال تغير أحوالها، ومع زيادة النياء المشددة والتاء للنسبة تصبح «الهوية»، أو «هوية الأنا» التي تكشف الذات وتبين حقيقتها وجوهرها<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> ديورنغ، سايمون. (2015). الدراسات الثقافية: مقدمة نقدية (ترجمة: ممدوح يوسف عمران). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص 241.

<sup>2</sup> ميكشيللي، أليكس. (1993). الهوية (ترجمة: علي وطفة). دمشق: دار الوسيم للخدمات. ص 7.

<sup>3</sup> ابن منظور. (د.ت). لسان العرب (ج 2، 8، 10). بيروت: دار صادر. ص 374.

<sup>4</sup> يعقوبي، محمد. (2008). معجم الفلسفة. القاهرة: دار الكتاب الحديث، ص 174.

## الهوية اصطلاحاً:

إن المفهوم العام للهوية يمثل الشفرة التي تجمع بين طياتها كل ما يتعلق بتشكلات الذات من النواحي (الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية)، والتي تميّز بدورها الفرد عن سواه. وإذا ما أردنا التعرف إلى ماهية الهوية كما وردت في المعاجم الغربية، نجد أن معجم لالاند يعرفها بأنها: الميزة الثابتة في الذات، أي علامة ما هو متماه، أو هي: ميزة فرد أو كائن يمكن من هذا الوجه تشبيهه بفرد يُقال عنه إنه متماه، أو إنه هو ذاته في مختلف فترات وجوده «هوية الأنا»<sup>(1)</sup>.

أما إذا انتقلنا إلى تعريف الأدب العربي للهوية قديماً، فنجد أن الجرجاني يرى أنها: «الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق»<sup>(2)</sup>. في حين يرى الأدب العربي الحديث أن الهوية اليوم تعكس تطوع الفرد إلى توحيد الأنا والآخر في زمن العولمة والتحويلات الحديثة<sup>(3)</sup>. أما في النقد الثقافي، فنجد أن تعريف الهوية لديهم غير ثابت، بل غالباً ما يرتبط بالمكان والتاريخ والتحويلات الاجتماعية<sup>(4)</sup>.

وفي علم النفس عُرِفَت الهوية بأنها تنظيم داخلي معين للحاجات، والدوافع، والقدرات، والمعتقدات، والإدراكات الذاتية، بالاشتراك مع الوضع الاجتماعي والسياسي للفرد<sup>(5)</sup>. وعليه، فإن الهوية لا تُعد جوهرًا ثابتاً فحسب، بل هي عملية إنتاج مستمر تتأثر بالسياسة والسلطة والثقافة، وأي تغيير يطرأ على المكان يؤثر فيها؛ فهي بناء اجتماعي يتشكل من خلال تفاعل الفرد مع الآخر، أو هي عملية إنتاج مستمرة تتغير بتغير الظروف، مما يفضي إلى نوع من الصراع. وهو اللون الذي عُرِفَت به أغلب الروايات الحديثة، وكانت الأنجع في تجسيده.

## دلالة العنوان وبعده الرمزي:

دائماً ما يُقال إن العنوان هو مفتاح المتن، فإذا ما أردنا الخوض في خفايا المتن، لا بد أولاً من الإمساك بمفتاحه. فما الذي يحمله عنوان رواية عبده خال «مدن تأكل العشب» من دلالة تمكّنا من فهم مغاليق النص الذي نسعى إلى فك شفراته؟

<sup>1</sup> لالاند، أندريه. (2012). موسوعة لالاند الفلسفية (ترجمة: خليل أحمد خليل، ج 2). بيروت: عوידات للنشر. ص 607.

<sup>2</sup> الجرجاني، محمد. (د.ت). معجم التعريفات. القاهرة: دار الفضيلة. ص 216.

<sup>3</sup> حنفي، حسن. (2001). ثقافة ما بعد الاستعمار والهوية العربية. القاهرة: دار الهلال.

<sup>4</sup> Hall, S. (1996). Questions of cultural identity. London: Sage Publications.

<sup>5</sup> دباس، خولة عبد الحليم، وآخرون. (2019). العلاقة بين طبيعة تشكّل هوية الأنا والجندر والتخصص لدى طلبة جامعة البلقاء التطبيقية. مجلة العلوم التربوية، 1(3). ص 89.

تحمل رواية «مدن تأكل العشب» دلالات عميقة من الإيحاءات، يرمز بعضها إلى الفقر، المأخوذ من تناول ما لا يُؤكل من طعام للجنس البشري، ألا وهو العشب؛ فهي كناية عن الفقر، وخروج الوضع عن المألوف، واختلاط الحابل بالنابل، حتى أصبح البشر والحيوان يأكلان الطعام ذاته. وهو، بالأحرى، تعبير عن فقدان التوازن لدى أصحاب المدينة، والصراع من أجل البقاء. وهنا كان العنوان المفتاح الأول، أو المعادل الموضوعي لصراع الهوية الذي نحاول التفتيش عنه في متن الرواية.

### الشخصية وصراع الهوية:

يُعدّ صراع الهوية من أبرز القضايا التي شغلت الرواية العربية المعاصرة، لاسيما في ظل التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي شهدتها المجتمع الخليجي على وجه الخصوص، والعربي عموماً. وتأتي رواية «مدن تأكل العشب» بوصفها نصاً سردياً يرصد لحظة التحول الحاد داخل مجتمع قروي يواجه تبدلات قاسية تمس بنيته القيمية والاجتماعية.

ومن هنا يتجلى صراع الهوية محوراً مركزياً في الرواية، إذ تتقاطع فيه أسئلة الانتماء والاعتراب والتحديث والمحافظة على الجذور، وفقاً للمرحلة العمرية التي تمر بها الشخصية، وإن كان الانتماء إلى الماضي أجدرها. وهو ما أكده إريكسون حين رأى أن «النمو الإنساني يمر عبر مراحل متسلسلة، ولكل مرحلة أهدافها واهتماماتها ومهامها ومخاطرها»<sup>(1)</sup>، وهذا يعني أن آثار المرحلة السابقة تتكشف في المرحلة اللاحقة سلباً وإيجاباً.

حملت الرواية صراعات عديدة على مستوى الهوية، ومن بين أهم تلك الصراعات (صراع الانتماء)، وهو من أكثر الأنواع حضوراً؛ إذ نجده متجلياً في الانتماء إلى العائلة أو الجذور، أو إلى المجتمع أو المدينة، أو إلى الهوية والذات، أو إلى المهنة أو الموهبة، وكذلك في الانتماء السياسي والديني. وذلك إذا علمنا «أن مفهوم الانتماء من المفاهيم السيكولوجية الحيوية التي تحدد طبيعة علاقة الفرد بذاته وبالجماعة في كل زمان ومكان»<sup>(2)</sup>.

ويقابل الانتماء، من جهة أخرى، مفهوم الاعتراب، الذي يعني «الانفصال النفسي للفرد عن ذاته وعن مجتمعه»<sup>(3)</sup>. وعليه، فإن عدم الانتماء والتغريب واحد؛ فكلاهما يشيران إلى «تلك التجربة

<sup>1</sup> العذاري، أزهري. (د.ت). تقديس التعصب. بابل، العراق: أجد للترجمة والنشر والتوزيع، ص214.

<sup>2</sup> العذاري، أزهري. (د.ت). هشاشة الغيرية: دراسة في سيكولوجية الوحدة والانفصال والاعتراب المجتمعي. بابل، العراق: أجد للترجمة والنشر والتوزيع. ص47.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص16.

المزعة التي تحدث عندما تكون شبكة العلاقات الاجتماعية لشخص ما ناقصة في أحد جوانبها كمًا ونوعًا»<sup>(1)</sup>.

وهذا ما أكده فروم حين رأى أن «الإنسان تحكمه العديد من الحاجات، مثل: الحاجة إلى الانتماء، والحاجة إلى التعالي، والحاجة إلى التجذر، والحاجة إلى الهوية الشخصية، وإن الإنسان يحتاج إلى الاندماج بالمجتمع ليتخلص من قيود العزلة التي يشعر بها، ليقيم علاقاته مع الآخرين ويتكيف معهم»<sup>(2)</sup>.

وقد وجدنا هذا الشعور حاضرًا عند أغلب شخصيات الرواية؛ فهذه شخصية (يحيى)، بطلة الحكاية، تفقد الإحساس بالانتماء إلى كل شيء في المرحلة المبكرة من حياتها، بعد أن انفصلت عن عائلتها نتيجة رغبة الأم في تحسين حالتهم المعيشية، إثر حلول القحط بالقرية. فكان الحل الوحيد أن يذهب للعيش عند خالته في (جدة)، ويرسل لهم ما يكسبه.

- أرى أن أحمل معي يحيى
- لا زال صغيراً على الحج
- ل ليعمل ويكد. " <sup>(3)</sup>

ومن هنا بدأت الغربة تساير (يحيى): «أمن أجل لقمة خبز رُمي بقطعة لحمي للمدن البعيدة؟ إنه يذكرني بالبهيمة التي تضل عن القطيع، حيث تسير رافعة ثغاءها، وربما تمتد إليها يد في الخفاء فتذبحها! يا لله!»<sup>(4)</sup> وكانت هذه هي البداية الأولى للانفصال والتغريب عن هوية العائلة، لاسيما أن هذا الإحساس قد تعزز بكلمات صدرت عن الآخر، أشعرته بحقيقة ما هو عليه الآن: «ما أفسى أبواك حين أخرجاك وأنت لا تزال صغيراً، ألا يعلمان أن الغربة تقتات القلوب والرجال؟»<sup>(5)</sup>.

وهنا نجد أن انفصال الشخصية البطلة في الرواية قد تحوّل إلى «عملية خلق داخلية لعالم خاص خيالي يعيش فيه، تتشكل على أساسه هويته ووجوده وقيمه الأخلاقية التي كوّنوها، بحيث أصبحت نسبية لا تسري أحكامها على الآخر، باعتباره موجودًا للمنفعة لا للقيمة»<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص16.

<sup>2</sup> فروم، إريك. (2013). الصحة النفسية لمجتمع معاصر (ترجمة: محمد حبيب). اللاذقية، سوريا: دار الحوار. ص176.

<sup>3</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص15.

<sup>4</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 65.

<sup>5</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص45.

<sup>6</sup> العذاري، هشاشة الغيرية، ص7.

تلك الهوية التي اكتسبها من خلال المحطات التي توقفت عندها الشخصية، فأثرت فيها وتأثرت بها، لتصنع، عبر هذا التنوع، الشكل النهائي لهوية الشخصية.

تمكنت الغربية من تغيير الملامح الداخلية لشخوص الرواية، لاسيما الشخصية البطلة (يحيى)، وكأنها الإعلان الأول لصراع تشكّل هويتها. فنتيجة للانفصال عن أحضان الأم، والولوج في أحضان الغريب الذي «استحلّ ظهر حماري، وأنا من خلفه ممسكًا بخاصرته بحنان، في ذلك اليوم أودعته قلبي الصغير، وسرت تحت ظل أمره، ومنذ ذلك اليوم احتجت لمن يقودني، يأمر فأطيع»<sup>(1)</sup>، تبدّلت ملامح الشخصية.

فبعد أن كانت الشخصية البطلة (يحيى) ذات طباع تغاير تمامًا طباعها اليوم، إذ تقول: «أذكر أنني لم أكن كذلك، فقد كنت طفلاً متسلطاً لا أرضى بالهوان، دائماً تسحبني أمي من فوق أقراني وأنا أكيل لهم الصفعات والركلات»<sup>(2)</sup>، كانت شخصية شرسة تصارع أبناء القرية وتتغلب عليهم، حتى إن أهلها اشتكوه: «في إحدى المرات فلفت رأس ابن الشيخ لأنه تقدمني حين كنا نرجو الماء، وغمزني باستخفاف، فجاء الشيخ ورعد: ابن الغريب يريد أن يشرب من دماننا!»<sup>(3)</sup>.

وقد استذكر لنا شيء من هويته السابقة: «كنت أستتف كثيرًا أن أكون تحت إمرة شخص، وهذه الخصلة... كانت بالإمكان أن تقيني بعض العنت الذي واجهني في غربتي الطويلة»<sup>(4)</sup>، فنجد أنه يرفض أن يكون عاملاً عند أحد. فحينما «كنا نتلازم جميعًا ونخرج في أيام الحصاد للمجاورة في حقول أهل القرية، وأنا الوحيد من بين إخوتي أرفض أن أعمل أجيرًا، وهذا يعود لغرس أبي»<sup>(5)</sup>، كانت الذكريات محاولة بائسة للتشبث بما تبقى من كبرياء وأنفة زرعها أبوه فيه، وهو نوع من الصراع بين أمسه ويومه.

لكنه قرر العمل بوصية أبيه لكي يستطيع البقاء؛ إذ كان «يهيئني للغد، يقذف بذوره في حقله، ويدخلي يمسك بكتفي ويبذر كلماته في مسامعي: الرجل هو القادر على صنع حياته في أي ظرف

<sup>1</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 46.

<sup>2</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 46.

<sup>3</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 47.

<sup>4</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 49.

<sup>5</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 47.

من الظروف»<sup>(1)</sup>. ورغم الصراع القائم بين صفات الشخصية القديمة والجديدة، نلاحظ انتصار الملامح الجديدة لهوية الشخصية؛ فما من شك في أن الغربية تقف قلوب الرجال.

وعلى الرغم من محاولة الشخصية أن تبقى الطفل في داخلها محمّ العمر لا يكبر: «لم يكبر الطفل بداخلي، ظل يحلم بالعودة والارتقاء في حضن أمه والبكاء حتى تسترضيه وتطلب العفو منه على ما سببت له من وحشة الفراق»<sup>(2)</sup>، فإن الشعور بالغضب من الأم التي تركته للغربة يظل حاضرًا، لكن الطفل الصغير في داخله يصارع ذلك الغضب: «كنت وما زلت أجمع دموعي في داخلي، على أمل أن أبكي على صدرها يومًا»<sup>(3)</sup>.

ويبدو أن المشاعر تتصارع داخله لتنتصر لهويتها الجديدة: «تبيس البكاء، وتماتت روحي، ولم يعد هناك طعم لهذه الحياة، فارتضيت أن أبقى أسير داخلي، أنثر هناك أحلامي وعجزي»<sup>(4)</sup>. وهنا تتجلى حقيقة الصراع حينما يُستدعى الماضي بوصفه الركن الآمن للجسد، والملاذ الأقرب للروح، في مقابل غربة مقلقة ومستقبل ضبابي.

وإذا ما انتقلنا إلى نوع آخر من الصراع، نشأ من تناقض الاسم واللقب أو الكنية، نجد أن أغلب شخصيات الرواية قد تعايشت بهويات متعددة اكتسبتها من محيطها، أو من البيئة التي حلت فيها، أو من الظروف التي مرّت بها، أو من المهنة التي التصقت بها. وإن الاستسلام لانسلاخ الهوية يأتي من «تعثر الفرد في تحقيق هويته وتطويرها بسبب الشعور بالإحباط والنقص وعدم الثقة والضياع، وغالبًا ما تقود هذه المشاعر إلى اضطرابات قد تكون مستديمة، تنشأ عن الصراعات المصاحبة لأزمة الهوية، والمرافقة للتغيرات التي يشهدها الفرد في مختلف مظاهر النمو التي يمر بها»<sup>(5)</sup>.

فنجد (يحيى)، الشخصية المحورية في الرواية، تتصارع عليها أكثر من هوية تبعًا لظروف عمله أو وجوده؛ فمرة يُنعت بـ(الغريب) كما مرّ سابقًا، وأخرى يُلقب بـ(البوري)، وثالثة بـ(الطار)، ورابعة بـ(الناصرى الصغير). وكلها مسميات زاحمت هويته الأم، حتى اعتادت الشخصية عليها وبدت مستسلمة لها، بعدما خلعت من مكان انتمائها، وأصبح كل شيء لديها بلا هوية، وأولها اسمه الحقيقي الذي سلب منه ليصبح اسمه «الرسمي يحيى طاهر محمد الوصابي، وإن كانت تنازعه ألقاب كثيرة حصل عليها من خلال العمل في المقاهي، ولم أعد أعرف إلا بلقب البوري»<sup>(6)</sup>.

<sup>1</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 47.

<sup>2</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 46.

<sup>3</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 46.

<sup>4</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 46.

<sup>5</sup> العذاري، تقديس التعصب، ص 9.

<sup>6</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 165.

هذا الاسم الذي طوّقه بطوق الولاء لشخص فرض عليه أبوّته عنوة، ليملي عليه طباعاً غايرت الطباع التي غرسها فيه الأب الحقيقي؛ فالأب الجديد كان يُلزمه أن يعمل أجيراً، على خلاف ما كان يمليه عليه الأب الحقيقي من نصائح تُبعده عن الخدمة عند الغير. وكأن الغربية فرضت عليه أباً جديداً، وهوية جديدة، وطباعاً مغايرة: «في الغربية، إذا لم يكن لديك أب، عليك أن تبحث لك عن أب بديل، وأنا أبوك هنا... هذا ابني وأريده أن يعمل لديك»؛ مدّ يده وتناول أجري لمدة أسبوع مقدماً... «كنت أعمل بالمقهى، وفي ذهابي وإيابي يقفز ببالي قول أبي: الأجير يظل خادماً طول حياته»<sup>(1)</sup>.

وهنا نلاحظ أن تبدّل هوية الأب قد آل إلى تبدّل طباعه تبعاً للانتماء الأبوي الجديد. ومع هذا التجرد، باتت الشخصية غير مكترثة بما يُطلق عليها بعد ذلك؛ إذ «تعددت أسمائي، ففي كل مهوى أعمل به أخرج منه باسم جديد، وقد استقر على البوري».

فهذه الهوية التي اكتسبها من عمله في المهوى: «أنسى الناس نبزتي القديمة، وأصبحوا ينادونني بـ(البوري)، اغتظت من هذه التسمية، وحاولت التخلص منها بتحذيرات واهنة... وكلما تماديت في غضبي تمادوا في تعليقها على مسامعي... وعندما لا أجد مناصاً من الإذعان إلى هذا المسمى الجديد، أصبحت أعجب لمن لا يناديني بتلك النبذة»<sup>(2)</sup>. وكان الشخصية قد استسلمت لهذا التبدّل تبعاً لتغيّر مكانها وتجردها من كل ما يربطها به.

كذلك نجد أن أغلب شخصيات الرواية قد تتصلت عن هويتها الحقيقية أيضاً بسبب ظروف أُمليت عليها. فهذه الخالة (خديجة) لم يعد اسمها خديجة كما كانت تُعرف في قريتها الأم، بل أصبحت، مع انتقالها إلى جدة، تُعرف بـ(ناجية): «هنا لا أعرف بخديجة خالدية، فكل أهل الحارة ينادونني (ناجية)، ولم أخبرك بسبب هذا الاسم من قبل؛ فعندما قدمت إلى جدة اصطدمت سيارتنا الأنسية بسيارة أخرى، ولم ينج من هذا الحادث إلا أنا وأبنائي، وتم نقلنا إلى المستشفى، ولم يعرفوا اسمي، فسجلوني في سجلاتهم باسم ناجية، تيمناً بنجاتي، والتصق هذا الاسم بي، وأصبحت لا أعرف إلا به»<sup>(3)</sup>.

وكان التجرد من الهوية الأم أصبح سهلاً ومستساغاً، فلا توجد مقاومة لرفضه، وهي الصفة التي لازمت الجميع؛ فلم يكن بينهم من يرفض أو يقاوم التغيير ويحافظ على هويته الحقيقية، وكان الرضوخ أصبح ملازماً لهم. وهذا الانسلاخ نجده حاضراً أيضاً عند الشخصية (صدفة)، الذي لم يكن هذا اسمه؛ إذ إن «شيخ الحواتين هو من أطلق عليه لقب الصدفة. كنت صغيراً حينما وجدت نفسي منسياً على ميناء جدة... كنت أمسك بيد أمي، وأبي يحمل عفشنا... حيث كانت سفينتنا التي ستقلنا

<sup>1</sup> (الرواية 112. 119)

<sup>2</sup> (الرواية 186)

<sup>3</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص125.

إلى بومبي، انزلت من بين يديها، وكنت أتبع نوارس... وبسرعة عجيبة غادرت السفينة موقعها، لأجد نفسي هائماً على الميناء... بعدها تجمع عليّ بعض الناس، ثم أطلق الشيخ عبد الصمد عليّ لقب الصدفة، ونسيت اسمي (مختار خان)<sup>(1)</sup>.

وهذا النسيان انسحب إلى رغبة الشخصية في عدم العودة إلى بلاده، رغم توفر الفرصة التي تحقق له ذلك، بل زادت لديه الرغبة في التخلي عن الماضي الذي نسيه، وهو نوع من الانسلاخ عن الهوية والصراع مع الذات: «الآن تستطيع العودة لبلدك... ومن يخرج الغربة من داخلي؟ لقد سكنتني، ولا فائدة من الرحيل»<sup>(2)</sup>.

وينطبق هذا الحال أيضاً على الشخصية (حامد)، الذي فضّل العبودية على التحرر؛ فالهوية التي اكتسبها بوصفه عبداً، حين خُطف من قريته وهو صغير على يد «رجل يقوم بسرقة الأطفال وبييعهم في أسواق العبيد»<sup>(3)</sup>، جعلته يرفض أن يتقمص هوية التحرر حين أقرّ قانون تحرير العبيد: «لقد طردوني من العبودية بعد أن أصبحت هي حياتي... أنا خائف من هذه الحرية؛ لقد وجدت نفسي عبداً يُؤمر فيطيع، أما الآن فعليّ أن أختار»<sup>(4)</sup>.

ف نجد الصراع واضحاً في تفضيل إحدى الهويتين على الأخرى؛ فبينما يسعى العالم إلى نيل الحرية، نجد حامد يتمسك بالعبودية ويخشى التحرر منها، وهو من أشد أنواع الصراع ألماً. ويبدو أن تبدل الاسم لديه لا يعني له الكثير؛ فهو الذي ارتضى العبودية هوية له، لا يعترض على تغيير اسمه، إذ يشعر بالتبعية والانقياد؛ فأصبح اسمه (حمامة) بدلاً من (حامد): «كان حامد يأتينا لبعض الوقت حين يكون سيده بمكة، ويجلس لحظات مجاوراً خوفه وعجلته، وسرعان ما يغادر المقهى قبل أن يجف أول الكلام، فأصبح محطة تندر للشباب (الشبكة)، وأطلق عليه عزيز لقب (حمامة)»<sup>(5)</sup>.

أما الانتماء القومي، فكان متوتراً هو الآخر، يخضع لصراع الهويات؛ إذ إن «البوري من الطبقة الكادحة، ولا يفهم كثيراً من الأمور...»، فعاد حسين إلى صرامته وردد بانفعال: «هذا ليس منا»<sup>(6)</sup>. وعلى الرغم من المحاولات الكثيرة التي سعى فيها (يحيى) إلى فهم الوضع السياسي من خلال مجالسته لـ«مجموعة من الشباب في ركن منعزل من المقهى، يديرون أحاديثهم بصمت، وفي أحيان

<sup>1</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 144-145.

<sup>2</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 146.

<sup>3</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 115.

<sup>4</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 329-330.

<sup>5</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 142.

<sup>6</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 193.

كثيرة يحتد جدلهم وينتهي بإسكات بعضهم بعضًا، وهم: (قدوري، حسن، أسعد أبو الليل، أبو عزة)<sup>(1)</sup>، فإن ذلك لم يُفضِ إلى اندماجه الحقيقي.

ف«كنا ثلاثة أشخاص نحضر هذا المجلس، ووصفونا بالناصرين الصغار (عمر، وصالح مستعجل، وأنا)، ولم يكن لرأينا أي قيمة؛ فقد تركزت الآراء السديدة عند الناصريين قدوري ووجدي، فهما -على حد زعمهما- أكثر تشرُّبًا بالناصرية لقربهما منها»<sup>(2)</sup>. لكن رؤية (قدوري) وتشجيعه على أن يكون (يحيى) جزءًا من الناصريين الصغار، حين قال: «لقد كسبنا قهوجيًا قومياً»<sup>(3)</sup>، لم يغيِّر من الحقيقة الراسخة لدى المحيطين به، لاسيما (حسن) الذي ردع (قدوري) بقوله: «أنت تُسبغ عليه حُلة أكبر من حجمه، هذا إذا فلح، يمكن أن يصبح صاحب مقهى»<sup>(4)</sup>.

وكذلك صاحب المقهى، الذي جادله في طبيعة هذا الانتماء، وفي حجم التعلُّق الذي بينه وبينهم، بما يعكس استمرار التوتر في تحديد موقعه ضمن هذه الهوية.

- يبدو أنهم يحبونك
- يعرفون قدري
- قدرك وما هو قدرك؟
- انتبه! هؤلاء الشباب من أسر غنية وتحميمهم اسرهم مهما فعلوا، بينما ابوك لا يقدر على حماية نفسه»<sup>(5)</sup>.

ويبدو أن استعارة الأسماء قد لازمت الجميع، حتى الناصريين؛ فهذا (وجدي) «كان يكتب في الجريدة المصرية باسم مستعار عن زعامة عبد الناصر وما يحمله للأمة العربية من وحدة قومية»<sup>(6)</sup>. وبعد كل ما سبق، نجد صراع الهوية حاضرًا عند أغلب شخصيات الرواية، وهو صراع قائم بين الهوية الحقيقية والمجازية، وكلتاها وُلدتا من الضياع والانسلاخ عن الهوية الأم. وكأن التأمل في تغيُّر الأحوال مرتبط بتغيُّر الأسماء.

فحينما انسلخ (يحيى) من أحضان قريته متجهًا مع جدته للحج، فقد هويته وطريق عودته، وبقي بملامح مغيبّة للجميع، دون محاولة للمحافظة عليها. وكذلك الحال مع شخصية (صدفة)، فبعد

<sup>1</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 187.

<sup>2</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 195.

<sup>3</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 188.

<sup>4</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 187.

<sup>5</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 189.

<sup>6</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 195.

أن أضاعه أبواه، أصبح منذ ذلك الحين بلا هوية، وملامحه باهتة. وكذا الحال مع (خديجة) و(حامد) وغيرهما من شخصيات الرواية.

وإذا ما دققنا النظر أكثر في الأسباب الحقيقية التي تقف وراء صراهم وتشظيهم في الغربية، نجد أن (الجوع) يقف بوصفه السبب الأساس لكل ما جرى، وهي النقطة التي سعينا إلى تتبعها في متن الرواية، لمعرفة العلاقة بين العنوان والمتمن. وقد أحسن الكاتب في إسباغ هذا الاندماج، ونجح في تجسيده.

### المكان وصراع الهوية:

ومثلما أصاب التغيير والعطب شخصيات الرواية، فعاشت صراعاً مع هوياتها، لم يبتعد المكان هو الآخر عن هذا الصراع والتحول؛ ذلك لأن المكان يرتبط دائماً بساكنيه. فالمكان الأول الذي كان يضم شخصيات الرواية هو تلك «قرية صغيرة تنام بين عيدان القصب، وثغاء، وخوار الأغنام والأبقار السارحة في شعاب الأودية الموصلة بعضها ببعض»<sup>(1)</sup>. تلك القرية التي كانت تنبض بالحياة لاحقاً العطب والموت، فغيّر ملامحها كما غيّر ملامح ساكنيها، وبدّل هويتهم.

ف«حينما مات الوادي فجأة، وأصبح قلبها حجرًا، تمايلت وجمعت عظامها، ووقفت أمامي، وبصوت أمر تخلطه بحة: تغرّب قبل أن يموت كل شيء»<sup>(2)</sup>، وهو إيذان بما سيؤول إليه المكان. وما الجراد إلا إشارة إلى إقبال المكان على القحط والجوع: «حط الجراد على تلك الأشجار اليابسة المتناثرة على مفترق القرية، وجرى نهار قانظ بين حقول احتضنت غبارًا وتشققات منذ فترة ليست قصيرة»<sup>(3)</sup>.

وهذا ما آل إليه مصيرها فعلاً؛ إذ «لم تعد تلك القرية كما تركتها، تيبس الخوف بين دروبها، واستيقظ الحرص وجال بين أطرافها بهمة، وظلت سنابلها تستقبل الريح باهتزاز كسول، وطفحت سيقانها باخضرار شاحب، واستحالت رمالها الفضية الناعمة إلى لون مصفر باهت، وفاح عطن بين دوابها القليلة المتناثرة في الحظائر، وفرغت خزائن الحبوب، وجفت الطرقات من المارة. كانت تقف وحيدة تستقبل الغبار، وتودّع الهاربين وداع الجنائز الزاهية إلى الثرى»<sup>(4)</sup>.

فلم تعد القرية ذلك المكان النابض بالحياة، بل أصبحت رمزاً للانغلاق من جهة، ووعاءً للذاكرة المحمومة من جهة أخرى، كما مثلت الحاضن الدائم للأحداث، لاسيما الخانقة منها. وبهذا فقدت

<sup>1</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 15.

<sup>2</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 31.

<sup>3</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 68.

<sup>4</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 237.

هويتها الحقيقية، لاسيما بعد أن التصق بها الطرد والتغريب لمن يسكنها، بوصفها صفة ملازمة لها: «دفعنتي قريتي إلى المدينة كي يسيل دمي»<sup>(1)</sup>.

لم يقتصر الموت والعطب على القرية فحسب، بل أصاب بيوتها أيضًا، فغدا داخلها وخارجها يصارع الوجود، كما حال ساكنيها: «ثمة شيء يموت هنا؛ وقف بيتنا فارغًا من كل شيء، ليس به سوى صحن معلقة داخل العشة، تصدر أصواتًا مع دفعات الريح القوية، وصدى مهول يستفز الرعب ليلتهمك، فتتقوض، تنهار، تغدو حطبًا تجهر ذاتك بالاحتراق... تقف وحيدًا تقلب بصرك في مكان موحش، وحكايات قديمة، وأنت الحاضر في زمن الهروب؛ مقبرة دخلتها لأستعيد من داخلها الماضي الذي عشته ذات يوم»<sup>(2)</sup>.

فباتت القرية ترمي بساكنيها خارج أسوارها بعد أن كانت تضمهم إلى صدرها؛ لذلك نجد أن كل من طرد من قريته حاول أن ينسلخ عنها، انتقامًا منها أو هروبًا من واقع مرير عاشه داخلها: «إذا جاء أحد منهم إلى هنا، كان من معاتيق القرية، لذلك عجن نفسه بماء المدينة، وانسلخ عن قبيلته، دافئًا عاداتها وتقاليدها في داخله، واصطنع لهجة مغايرة، وانتمى إلى المدينة، ونسي كل التفاصيل التي يمكن أن تعيده إلى قريته»<sup>(3)</sup>.

فطبيعة التصل التي حلت على شخصيات الرواية، كما بينا سابقًا، لم تأت من فراغ، بل كانت نتيجة طبيعية لهذا الطرد.

ويبدو أن الصراع لم يقف عند أبواب القرى، بل تعداها إلى المدن كذلك؛ فهذه (جدة) التي «كانت البيوت فيها تتلاصق بجدرانها قبل القلوب، مدينة شابة تنام في أحضان البحر، وفي الصباح تفيق وتجري في مناكب الحياة»<sup>(4)</sup>، أصبحت على غير حالها بعد أن «انفجرت جدة خارج أسوارها، فكل المدن تقازمت أمام جدة ذات المباني الحجرية العالية المزينة برواشين منممة دقيقة الصنع»<sup>(5)</sup>.

ومع هذا الاتساع، نشأ نوع من التغريب الداخلي للمكان؛ فباتت جدة غريبة حتى على من يعرفها. فعلى الرغم من أن شخصية (الصدفة) كانت من أكثر الشخصيات معرفة بأهل جدة وحواريها، فإنه هو الآخر أصبح يشعر بالاعتراب فيها.

• عم صدفة يقولون إنك تعرف كل أهل جدة

<sup>1</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 139.

<sup>2</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 238.

<sup>3</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 139.

<sup>4</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 147.

<sup>5</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 121-122.

- كان زمان
- أما الآن فلم يعد أحد يعرف أحد، كان يذوب حسرة ويضرب كفاً بكف على تفرق شمل أهل حارته ... يا خسارة كلهم نسوا الماضي، لا أحد يلتفت للوراء<sup>(1)</sup>.

لكن الخراب لم يقتصر على القرى، بل لاحق الشخصيات إلى أماكن انتقالها؛ فنجد (جدة) قد تبدلت هويتها بعد الحرب إلى مكان موحش في عيون القادمين إليها: «دخلنا إلى أسوارها المهذمة مع الغروب، فعبرنا أزقة ملتوية، وكلما أوغلنا في سيرنا تلاشت الشوارع النظيفة، وبدأت تستقبلنا روائح خمرية لمياه آسنة وقمامت ترامت على جنبات الشوارع الضيقة»<sup>(2)</sup>.

ولا يختلف الحال عما جرى في مدينة (جيزان)، فهي الأخرى أصابها الخراب بسبب الحرب، بعد أن كانت تضج بالحياة؛ فبدت المدينة «نصفها ميت، والنصف الآخر هرب، وساحت بشوارعها بقايا من قامات هزيلة جلست تصفف أحزانها، وتقلب سيرة جثتها التي عبثت بأجسادها القنابل»<sup>(3)</sup>.

بعد كل ما سبق، نجد أن الإحساس تجاه المكان هو الذي ترجم الصراع داخل أبعاده؛ فالشعور العميق بالغربة داخل الأماكن الضيقة والواسعة كان واحداً على حدٍ سواء. فالقرية لم تعد الفضاء الحاضن لأهلها بقدر ما أصبحت مكاناً طارداً لهم، وكذلك المدينة هي الأخرى أصبحت خالية من الأمان والاتساع الذي كانت الشخصيات تهرب إليه من ضيق القرى. وهذا الإحساس المتشابه تجاه الأمكنة يرجع أساساً إلى ما أصاب النفس من زعزعة داخلية نتيجة الانسلاخ من أحضان المنشأ الأول؛ فيبقى الشخص يصارع هوية الانتماء بين المكانين دون أن ينتصر لإحدهما على حساب الآخر. فالجميع ينشد الدفاء، لكنهم يفضلون السعة، وشتان بين تحقيق الاثنين.

## الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة، يتضح جلياً أن العالم الداخلي لرواية «مدن تأكل العشب» كان يعاني من توتر لا ينعصر في صراع الشخصيات مع ذواتها والآخر، بل تجاوزه إلى ما هو أعمق من ذلك؛ إذ وصل إلى الكشف عن واقع أكثر اتساعاً شمل المجتمعات التي واجهت التغيرات المتسارعة والتحديات التي ترتبت على ذلك. كما استطاعت هذه الرواية أن تقدم معالجة دقيقة ومكثفة لتداعيات صراع الهوية في مجتمع مغلق كالمجتمع السعودي، والكشف عن هشاشة التوازن القائم بين الانتماء الفردي للمكان أو الاغتراب عنه، والانتماء القسري للجماعة، ومحاولات الإفلات منها في إطار البحث عن الانعتاق وتحقيق الذات.

<sup>1</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 147.

<sup>2</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 122.

<sup>3</sup> خال، (2008). مدن تأكل العشب، ص 244.

## النتائج:

انجلت الدراسة عن جملة من النتائج، كان أبرزها ما يأتي:

- 1- مثّلت الرواية شهادة سردية أدبية أطلت على مرحلة مفصلية في تاريخ المجتمع السعودي، الذي عاش حالة من الصراع بين حياة أمس واليوم، أو بين ماضيه وحاضره، أو بين المحافظ والمجدد.
- 2- كشفت الرواية أيضًا عن الأزمة الحقيقية التي عاشها الفرد العربي، ولا يزال يعيشها، في ظل حالة قائمة بين الثبات والتحول في البنية القيمية، بما يحدث خللاً وثباتاً في آنٍ واحد.
- 3- كانت الهوية داخل عالم الرواية قلقة وغير ثابتة، تتزامن مع الحلّ والترحال، وتواكب التغريب الداخلي والخارجي، وهي صورة دقيقة تُحسب للكاتب.
- 4- تجاوزت الرواية البعد الاجتماعي إلى بعدٍ فلسفي وجودي، يعرض أبعاد الصراع التي تباينت داخل أروقتها بين الخوف من المستقبل والحنين إلى الماضي.
- 5- نرى أن صراع الهوية في هذه الرواية كان صراعاً مزدوجاً، استلهم مختلف التغيرات الاجتماعية والتناقضات النفسية، فضلاً عن توظيف الرمز بوصفه وسيلة تمنح العمل أهمية، وتجعل حركة الذات أكثر قدرة على مواكبة التحولات.
- 6- أظهرت الدراسة أن الصراع الدائر في عالم الرواية كان المحور الرئيس في تشكيل وصقل شخصياتها.
- 7- بيّنت الرواية أن البيئة الاجتماعية لمجتمع الرواية فرضت سلطة قسرية ضاغطة في تشكيل هوية الأفراد ورسم مستقبلهم.

## التوصيات:

- 1- التشجيع على دراسة روايات سعودية أخرى تكشف العمق الحقيقي لهذا المجتمع الذي أصابه التحول والتغيير قبل وبعد النفط.
- 2- اعتماد مناهج حداثوية قادرة على الكشف عن حجم الصراعات القائمة على ثبات الهوية وتشظيها.
- 3- إدخال الدراسات المقارنة بين الأعمال التي تتناول تلك المجتمعات، بهدف الوقوف على المفاصل الحقيقية لها، وتحديد السبل الأفضل لمعالجة موضوع صراع الهوية.
- 4- الدعوة إلى دراسة البعد النفسي لشخصيات الرواية، ومحاولة ربط تصرفاتها بطبيعتها الاجتماعية وصفاتها السيكلوجية والنفسية.

## قائمة المصادر والمراجع

- ابن منظور. (د.ت). لسان العرب (ج 2، ج 8، ج 10). بيروت: دار صادر.
- الجرجاني، محمد. (د.ت). معجم التعريفات. القاهرة: دار الفضيلة.
- حنفي، حسن. (2001). ثقافة ما بعد الاستعمار والهوية العربية. القاهرة: دار الهلال.
- خال، عبده. (2008). مدن تأكل العشب. بيروت، لبنان: دار الساقبي.
- دباس، خولة عبد الحليم، وآخرون. (2019). العلاقة بين طبيعة تشكل هوية الأنا والجندر والتخصص لدى طلبة جامعة البلقاء التطبيقية. مجلة العلوم التربوية، 1(3).
- فروم، إريك. (2013). الصحة النفسية لمجتمع معاصر (ترجمة: محمد حبيب). اللاذقية، سوريا: دار الحوار.
- العذاري، أزهر هاشم. (2023أ). تقديس التعصب: دراسة في ديناميات الهوية المتأزمة والتوجه المضاد (ط 1). بابل، العراق: أبجد للترجمة والنشر والتوزيع.
- العذاري، أزهر هاشم. (2023ب). هشاشة الغيرية: دراسة في سيكولوجية الوحدة والانفصال والاغتراب المجتمعي. بابل، العراق: أبجد للترجمة والنشر والتوزيع.
- لالاند، أندريه. (2012). موسوعة لالاند الفلسفية (ترجمة: خليل أحمد خليل، ج 2). بيروت: عويدات للنشر.
- ميكشيللي، أليكس. (1993). الهوية (ترجمة: علي وطفة، ط 1). دمشق: دار الوسيم للخدمات.
- اليعقوبي، محمد. (2008). معجم الفلسفة (ط 1). القاهرة: دار الكتاب الحديث.
- Hall, S. (1996). Questions of cultural identity. London: Sage Publications.